التأثير الأندلسي في المجال الثقافي للمغرب الأدنى من القرن 7- 9 هـ / 13-15م

بوعامر مريـــم
طالبة دكتوراه قسم التاريخ
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

الملخص:

لقد كان للمهاجرين الأندلسيين دور هام في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى في مختلف المجالات وخاصة المجال الثقافي بفضل هجرة الكثير من علماء الأندلس الذين تخصصوا في مختلف العلوم سواء النقلية والعقلية وقد أدخلوا الكثير من التغيير. ومن أبرز الميادين التي مسها هذا التأثير ميدان التعليم، حيث أحدثوا أساليب تربوية جديدة في طرق التعليم ومنهجيته، ومن المجالات التي شملها التأثير أيضا الميدان الثقافي. كما كان للمجال العلمي حظ وافر من التأثير الأندلسي، فقد انتفع المغرب الأدنى بهروب الأدمغة إليه، ويعتبر الطب من أهم العلوم التي مسها هذا التأثير أيضا.

Abstract

It was Andalusians immigrants play an important role in the prosperity of civilization minimum of Morocco in various fields, especially in the cultural field thanks to the migration of many of Andalusia scientists who specialize in various fields of science, both for transport and mentality has introduced a lot of change. Among the most prominent areas that touched this impact the field of education, where they caused new educational methods in teaching methods and methodology, and the areas covered by the field of cultural influence also. As the field of scientific luck for a multitude of Andalusian influence, Maghreb has benefited Near escape drain it, and is considered the most important medicine of Science, which also touched this effect.

تقديم:

توافد إلى المغرب الأدنى العديد من المهاجرين الأندلسيين خاصة مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بسبب تدهور الأوضاع السياسية و سقوط معظم مدن الأندلس في يد النصارى و قد أسهم هؤلاء المهاجرون الأندلسيون بشكل واضح في الإزدهار الحضاري للمغرب الأدنى في مختلف المجالات الحضارية لا سيما في المجال الثقافي.وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى كثرة المهاجرين المثقفين و كبار العلماء الذين أسهموا بفعالية في تغيير وجه البلاد الثقافي و أدخلوا الكثير من التغيير

على الساحة الفكرية بالمغرب الأدنى[1] حتى أصبح هذا الإقليم و غيره كتلمسان و المغرب الأقصى وريثا للعلوم الأندلسية[2].

و من أبرز الميادين الثقافية التي مسها هذا التأثير بشكل واضح :

1/ ميدان التعليم:

باشتغال المهاجرين الأندلسيين في مجال التعليم الابتدائي في المغرب الأدنى بغرض الارتزاق منه تغيرت طرق التعليم و مناهجه، و مما لا شك فيه أن الأندلسيين لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم كان الإقبال بل التهافت عليهم عظيما إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم[3] ، و كانوا يزاولون مهنتهم هذه في المدارس و المساجد أما الذين لا يجدون مكانا في تلك المؤسسات الدينية و الثقافية فيلجؤون إلى منازلهم و يخصصونها لاستقبال الطلبة[4].

و كانت نتائج هذا الإحتكار إيجابية جدا إذ أدخلوا أساليب تربوية جديدة و أثروا في طرق التعليم و قد قوبلت منهجيتهم بالاستحسان و نشروها في البلاد و عمموها .و يروي لنا ابن خلدون و الذي يعتبر شاهد عيان على كيفية وقوع هذا التحول على يد الأندلسيين في خضم حديثه عن طرق التعليم في المغرب الأدنى فيقول :" ... و أما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب و مدارسة قوانين العلوم و تلقين بعض مسائلها ، إلا أن عنايتهم بالقرآن و استظهار الولدان إياه و وقوفهم على اختلاف رواياته و قراءاته أكثر مما سواه و عنايتهم بالخط تبعا لذلك و بالجملة فطريقتهم لتعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس و استقروا بتونس ، و أخذ عنهم ولدانهم بعد ذلك"[5].

---

[1] محمد الطالبي ، الهجرة الأندلسية إلى افريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص 46، محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة افريقيا الشرق، 1991، ص35.

[2] القلصادي أبو الحسن علي بن محمد، رحلة القلصادي" تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل والمناقب"، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص26.

[3] مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية "مدن الشرق"، الجزء الثالث، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص264.

[4] محمد الطالبي ، المرجع السابق ، ص 65.

[5] ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ص-ص 584-588.

و قد أدى احتكار أهل الأندلس لميدان التعليم دون غيرهم إلى اضمحلال الخط الإفريقي وتعويضه بالخط الأندلسي و يشير ابن خلدون إلى ذلك قائلا: "و أما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها و من خلفهم من البربر و تغلب عليهم أمم النصرانية ، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقيا من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد ، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع و تعلقوا بأذيال الدولة ، فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ، ونسي خط القيروان و المهدية بنسيان عوائدهما و صنائعهما و صارت خطوط أهل إفريقيا كلها على الرسم الأندلسي بتونس و ما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم ، إنما كانوا يغدون على دار الملك بتونس ، فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس"[1].

و لم يقتصر التأثير الأندلسي على ميدان التعليم الإبتدائي فحسب و إنما شمل أيضا التعليم العالي الذي تنافس عليه الأندلسيون و أهل البلاد ونظرا لأن التعليم في هذا المستوى يؤدي في كثير من الأحيان إلى الجاه و النفود و كان الحفصيون على العموم يميلون إلى المدرسين الأندلسيين لشهرتهم وكفاءتهم[2].و مما يثبت ذلك تعيين السلطات الحفصية لمدرسين في المدارس الرسمية ، و من بين مشاهير العلماء الوافدين من الأندلس و المشتغلين بالتدريس نذكر:

- أبا بكر محمد ابن أحمد ابن سيد الناس: الذي قدم في جالية إشبيلية ، و قد ولد بها سنة 600هـ /1203م، و تتلمذ على يد جملة من مشائخها منهم موسى ابن الحسن العتبي الزاهد و أبو الحسن ابن جبير، و كان ظاهري المذهب حافظا للحديث عارفا برجاله وأسمائهم[3].

و عند قدومه من إشبيلية نزل ببجاية و ولى صلاة الفريضة و الخطبة بالجامع الأعظم وسمع عنه طلبتها ، ولما بلغ أمره إلى السلطان الحفصي المستنصر (647-675هـ/1249-1276م) استدعاه

[1] نفسه، ص 426.

[2] محمد رزوق، المرجع السابق، ص 36.

[3] أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 246-247 ، ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، الجزء السادس، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص 437.

قربه إليه[1] ، وجعل إليه تدريس العلم بالمدرسة عند جامع الهواء التي أسستها أم الخلائف[2].وقد توفي رحمه الله بحاضرة تونس سنة (659هـ/1261م)[3].

ولم يكن ابن سيد الناس الوحيد الذي ارتقى إلى هذه الوظيفة بل انتظم في سلك المدرسين أندلسي آخر هو الفقيه الحافظ المثقف ، التاريخي ، المدرس المحدث **أبو العباس أحمد ابن محمد القرشي الغرناطي** الذي نزل ببجاية و درس بالجامع الأعظم ثم انتقل إلى المغرب و لقي عددا من كبار العلماء ثم رجع إلى حاضرة إفريقية و عكف على التدريس و التذكير بعلم الرواية إلى أن توفي رحمه الله[4].

و ممن انتدب إلى هذه الوظيفة كذلك **اسحاق ابن محمد ابن علي العبدري الميورقي** (ت642هـ / 1244م) الفقيه المحدث ارتحل من ميورقة إلى بلنسية فولي القضاء بدانية في سنة 627هـ / 1229م ثم هاجر منها إلى تونس و ظل يعلم بها إلى أن توفي هناك[5].

إضافة إلى هؤلاء العلماء أحصى محمد الحبيب خوجة اعتمادا على رحلة ابن رشيد ما لا يقل عن 35 عالما أندلسيا دخلوا إفريقيا في القرن 7هـ/13م كما أحصى الغبريني في كتابه : "**عنوان الدراية**" في نفس الفترة الزمنية ثلاثة وثلاثون من مشائخ الأندلس ممن مر بجاية أو استقر بها نهائيا[6] معظمهم اشتغل في ميدان التعليم و أسهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس و المساجد خاصة بجامع الزيتونة و أسمعوا و أجازوا طلابهم حسب طريقة الإجازة المألوفة التي تعتمد على السماع[7].

---

[1] نفسه، ص 247، عمرو محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 189.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 438.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص549، ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، دار النشر بيروت، 1997، ص298

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص301- ص 302

[5] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي (ابن الآبار)، التكملة لكتاب الصلة، تعليق ألفريد بيل، ابن أبي شنب،المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920، ص 171.

[6] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 67.

[7] محمد بن أحمد بن علي العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، الطبعة الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، ص- ص، 60-61.

كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب بالمغرب عامة و منه بالمغرب الأدنى وساهموا كذلك في تطوير طرق الكتابة و رسم الخط[1].

2/ الحركة الأدبية :و من بين المجالات الثقافية التي شملها التأثير الأندلسي الميدان الأدبي فلقد انتقل إلى مدن المغرب الأدنى خاصة الساحلية منها جمع من مشاهير الأدباء و أمجاد الشعراء أدوا دورا هاما في إثراء هذا المجال و نذكر من بين هؤلاء على الخصوص :

-أبو إلياس أحمد ابن القاسم ابن القصير الإشبيلي (كان حيا سنة 647هـ/1285م) الأديب الشاعر الخطاط كان معلما بإشبيلية ثم طنجة ، تجول شرقا و غربا ، ثم استوطن تونس13، عرف بصلاته مع رجال البلاط الحفصي و بالخصوص مع الوزير أبي الحسين العنسي له في السلطان الحفصي المستنصر ورجال دولته مدائح كثيرة[2].

-أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي (610-685هـ/1213-1286م): الفقيه الأديب الجغرافي ، هاجر من الأندلس و استقر بتونس و له عدة مؤلفات منها : "القدح المحلى" "المغرب في حلي المغرب" ، "الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة"[3].

-أبو الحجاج يوسف ابن محمد البيساني توفي بتونس سنة 653 هـ /1255 م الذي صنف بتونس سنة 646 هـ/1248 م "**كتاب الحماسة**" [4]،و هو عبارة عن ديوان يتكون من مجموعة من القصائد و الروايات المنقولة عن الكتاب الآخرين[5].

-أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجي الشهير بحازم القرطاجي : (608-684 هـ/1184-1260م)النحوي الشاعر المشهور نزل بتونس و استقر بها و هو صاحب المقصورة الشعرية التي نظمها

---

[1] محمد بوشقيف ، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15-16م ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة وهران، 2004/2003 ، ص 29 ، سعيدوني ناصر الدين ، التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص 88.

[2] عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس الفترة: 626-981 هـ، 1288- 1573م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991، ص 567.

[3] برهان الدين بن علي بن محمد ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ، ص 112.

[4] روبار برنشيفك، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 الى 15م ، ترجمة حمادي الساحلي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص419.

[5] نفسه، ص 419.

إكراما للسلطان المستنصر الحفصي و أهداها إليه[1]، وقد اشتملت هذه القصيدة على ألف بيت تناول فيها حازم القرطاجي ذكرا للديار المهجورة ورثاءا لحال البلاد الأندلسية كما تضمنت مدحا للخليفة الحفصي و انتصاراته و قصوره وجيوشه[2].

-محمد الخير المالقي الذي نبغ في الشعر في تونس خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، وقد قدم من مالقة سنة 864 هـ /1560 م والتحق بخدمة الأمير محمد ابن عثمان فمدحه وتولى الكتابة له[3].

لقد كان لهؤلاء الأدباء و الشعراء و غيرهم دور في ازدهار الأدب بنوعيه النثر الفني والشعر فقد ساعدوا على انتشار فن الترسل الخاص أو العام والمتمثل في تحرير الرسائل بأسلوب راق سواءا الصادرة عن الخواص أو عن الدوائر الرسمية[4] أما في ميدان الشعر فيظهر التأثير الأندلسي في العهد الحفصي من خلال التأنق و اللطف المتكلف و حب النكتة و اختيار الصور و المقارنات[5].

أما فيما يخص النحو و مبادئه الأولية فقد احتل فيه الأندلسيون مكان الصدارة و برع فيه أندلسيان هما:

-أبو الحسن علي بن موسى الخصرمي المعروف **بابن عصفور** (597-669 هـ/1200-1270 م) ولد باشبيلية .أخذ كتاب سيبويه بالأندلس في عشر سنين و علم بإشلبيلية و شريش و مرسية و غيرها ، قدم إلى تونس فاستوطنها و عكف على التدريس بها حتى قتل بإيعاز من الخليفة المستنصر[6] ومن تآليفه "المغرب والممتع في الإشتقاق"، "المقرب في النحو"[7].

-أبو جعفر أحمد بن يوسف اللبلي (613-691 هـ/1216-1292 م) قرأ بالأندلس على يد كبار مشائخها أمثال : أبو العلي الشلوبين ارتحل إلى بجاية ثم استقر بتونس و من تأليفه: وشي الحلل ، الجهل ، الفصيح ، الثعلب[8].

---

[1] محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949، ص 197.

[2] روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 428.

[3] القلصادي، المصدر السابق، ص 27.

[4] روبار بونشيفك، المرجع السابق، ص 421.

[5] نفسه، ص 426.

[6] الغبريني ، المصدر السابق، ص- ص 266-268، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 197.

[7] الغبريني ، نفسه، ص 268، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص- ص:201-202.

[8] الغبريني، نفسه، ص-ض 300-301.

3/المجال العلمي:

لقد كان للمجال العلمي حظ وافر من التأثير الأندلسي فقد انتفع المغرب الأدنى بهروب الأدمغة إليه من الأندلس و يُعتبر الطب من أهم العلوم التي مسها هذا التأثير.

و الجدير بالذكر أن معظم الأطباء الذين احتشد بهم بلاط المرابطين و الموحدين كانوا من ذوي الأصول الأندلسية وقد ساهموا في تطوير الطب وازدهاره بالمغرب، كما بذلوا جهودا جبارة في مجال اختصاصهم فقاموا بالتصدي للتطبيب و معالجة العامة ، كما درّسوا الطلبة في مجال قدرتهم على إجراء التجارب العلمية واستنتاج النتائج الطبية وصنفوا في ذلك كتبا عديدة[1].

و من هؤلاء الأطباء الذين عملوا في مجال الطب : أبو العلاء زهر ابن أبي مروان[2] الذي توجه للعمل في البلاط المرابطي بدعوة من يوسف ابن تاشفين و بعد وفاة ابن تاشفين بقي أبو العلاء زهر طبيبا لابنه الذي عينه وزيرا له[3].

أما من أشهر الذين عملوا في البلاط الموحدي الطبيب ابن أبي العلاء زهر ابن أبي مروان(ت 557هـ/1161م)[4] الذي استدعاه عبد المؤمن بن علي إلى مراكش و اتخذه طبيبا خاصا له[5].

ولم يكن هذا المجال حكرا على الرجال فحسب بل نجد من النساء اللواتي اشتغلن كطبيبات في العهد الموحدي أخت الطبيب الحفيد أبو بكر بن زهر و ابنتها و اللتين كانتا عارفتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة بأمراض النساء[6].

وقد واصل الطب ازدهاره وتقدمه في عهد بني حفص بالمغرب الأدنى ومن الأطباء الأندلسيين البارزين خلال هذا العهد نشير إلى :

-أبو العباس أحمد بن خالد:(**ت 660 هـ/1262م**) : وهو من أهل مالقة نشأ بالأندلس و تعلم بمراكش ثم انتقل إلى بجاية و درس بها كتاب "الإرشادات والتنبيهات" لابن سينا و ممن قرأوا عليه الغبريني.

---

[1] محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 150.

[2] توفي بالأندلس سنة 525هـ/ 1130م، له تصانيف كثيرة في الطب منها:"الأدوية المفردة"، "الإيضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان"، ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4،تحقيق س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1989، ص 85.

[3] محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 15.

[4] ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص- ص 178-17

[5] محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 151.، ص 152.

[6] نفسه، ص152.

-أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن أندراس **(ت 674هـ/1273م)** : و هو الفقيه اللغوي الطبيب الشهير من أهل مرسية ، ورد على بجاية سنة 660 هـ/1262م فواضب على تدريس الفقه و الطب واللغة العربية بجامعها كما مارس مهنة الطب لدى ولاة بجاية ، و يشير الغبريني أنه قرأ عليه أرجوزة ابن سينا[1].

ولما ذاع صيته استدعاه المستنصر الحفصي إلى بلاطه و ضمه إلى سلك أطبائه ، و بقي بتونس حتى توفي بها[2] و أنجب ابن أندراس ابنا هو أبو يعقوب يوسف (ت739هـ/1339م) و الذي برع هو أيضا في الطب[3].

كما أشارت المصادر التاريخية إلى عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين قدموا إلى المغرب الأدنى خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي و اختصوا في هذا المجال أشهرهم:

-محمد بن محمد بن عيشون اللخمي المرسي **(توفي بعد سنة** 721 هـ/ 1320م) : المحدث الطبيب، رحل من مرسية إلى بجاية، فأقام بها مدة و عين بها طبيبا لابن الليحاني ثم غادر بجاية إلى ألمرية وتوفي هناك[4].

-أبو جعفر محمد بن أحمد بن يوسف الأنصاري (ت763هـ/1361م) : اشتهر بالطب والحساب والفلك، كان ذائع الصيت بغرناطة إلاّ أن سلطانها نفاه إلى البلاد الحفصية في سنة (763هـ/1361م)[5].

-أبو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي: عاش خلال القرن الثامن الهجري أديب وطبيب استقر بالبلاد الحفصية ثم ضمه السلطان أبو العباس أحمد الحفصي (772-796هـ/1370-1394م) إلى سلك أطبائه[6].

إضافة إلى هؤلاء الأطباء المذكورين نجد آخرين أمثال : أبو الحجاج يوسف أصيل قرمونة والذي حظي بتقدير شخصي بالغ في بلاط السلطان الحفصي أبو العباس[1] ،و غالب ابن علي بن محمد اللخمي الغرناطي (ت741هـ/1340م)[2].

---

[1] نفسه، ص 101، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص- ص 205-206.

[2] الغبريني ، المصدر السابق ، ص 102.

[3] أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1981،ص ص: 69-70.

[4] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ج1، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966، ص 306-307.

[5] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج2، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر، بيروت ص 214.

[6] روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص- ص 389-390.

ورغم أهمية هذا التأثير و هذا العدد الهائل من الأطباء الأندلسيين ذوي الخبرة و الحذق في صناعة الطب لم يتمكنوا من إحداث مدرسة شبيهة بمدرسة القيروان التي ذاع صيتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 و 10 م)[3].

و يعد علم النبات أيضا من العلوم التي أثر فيها الأندلسيون فقد برع في هذا العلم عالمان أندلسيان هما:

-أبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بابن الرومية: المولود سنة 567هـ/1171م الذي أقام مدة بتونس ثم عاد إلى إشبيلية و مات بها سنة 637 هـ/1239م[4].

-**ابن البيطار** : الذي ورد على تونس من مالقة و له عدة مؤلفات في الطب تابع طريقة نحو الشرق وتوفي بدمشق سنة 646هـ/1248م[5].

أما الرياضيات و هي إحدى العلوم العقلية فقد تأثرت بأهم رياضي أندلسي انتقل إلى تونس في الفترة المدروسة وهو **أبو الحسن القلصادي** (توفي891هـ/1486م) الذي اشتهر بالفقه والفرائض والحساب وله عدة مؤلفات في مجال الحساب ألف معظمها في تونس ومنها: "كشف الجلباب في علم الحساب" ، "القانون في الحساب"[6].

إضافة إلى القلصادي نجد: **أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي** (ت639 هـ/1241م) كان متضلعا في علم الحساب، أصله من قرطبة درس بمراكش و فاس وتونس وغيرها من الأقطار ثم استقر بتونس حتى وفاته[7]، وكذلك **محمد بن إبراهيم محمد الأوسي المرسي** المعروف بابن الرقام (توفي سنة 715هـ/1315م) من أهل مرسية نزيل غرناطة برع في الحساب والهندسة والطب، اتجه إلى الحج وأقام مدة بتونس ثم استقر بغرناطة حتى وفاته بها[8].

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984 ص- ص 240-241.

[2] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 71.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة ، المصدر السابق، ج1، ص-ص، 240-241

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1،ص- ص 115-221.

[5] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص- ص 44-45.

[6] أبو العباس أحمد بن أحمد التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ج3، مطبعة الفحامين مصر، 1351هـ، ص 210،

[7] عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 556.

[8] ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص- ص 69-70.

و نجد أيضا ممن مر بتونس في هذه الفترة وتخصص في الحساب **إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز النيمري الغرناطي** (ت 764 هـ/1362 أو1363م) ولد بغرناطة و تعلم بها ثم ارتحل إلى المشرق، استكمل تعليمه بتونس ومصر وعاد إلى غرناطة[1].

4/ المجال الفني و المعماري:

لعل أعمق تأثير أندلسي و أخلده في المغرب الأدنى هو الذي حدث في ميدان الفن وخاصة الموسيقى، والموسيقى كما يعرفها ابن خلدون: هي "معرفة نسب الأصوات و النغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد و ثمرته معرفة تلاحين الغناء"[2].

و قد كانت العناية بهذا النوع من الفنون شديدة بالأندلس و كان الشغف بها قويا في جميع المستويات والأوساط فلم تكن فنا فحسب بل كانت أيضا علما متمما للفلسفة و الطب و له صلة متينة بالأشعار وخاصة الموشحات والأزجال[3].

و يرجع الفضل في التطور الكبير الذي شهدته الموسيقى بالأندلس إلى أبو الحسن علي بن نافع (173-238هـ/789-852م) الذي نشأ بالعراق وكان مولى للخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-785م) وقد تتلمذ على يد إسحاق الموصلي ، ثم انتقل إلى الأندلس و يلقب بزرياب لسواد لونه[4]، وفي ذلك يقول المقري: "و زرياب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة وحلاوة شمائله ، شُبّه بطائر أسود غرد عندهم و كان شاعرا مطبوعا..."[5].

ويعتبر زرياب واضع أسس المالوف وصاحب مدرسة تميزت بأسلوب خاص في التلقين والتعليم، ومن أهم الأعمال التي ارتبطت به في الأندلس تغييره لمضراب العود وإضافته وترا خامسا لهذه الآلة[6]، أما المضراب فقد صنعه من قوادم النسر عوض الخشب وقد أشار المقري إلى ذلك قائلا: قائلا: "وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب

[1] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج1، ص 29-30.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 43.

[3] روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 432، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص71.

[4] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 122، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 75.

[5] نفسه، ص 122.

[6] نفسه، ص 126.

فأبرع في ذلك للطف قشر الريشة و نقائه و خفته على الأصابع و طول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه"[1].

وممن اعتنى بالموسيقى في الأندلس نجد الفيلسوف أبا بكر بن باجة (ت 522هـ/1428م) فبالإضافة إلى مؤلفاته في الفلسفة و علم النفس والهندسة و الفلك اهتم أيضا بالموسيقى فألف فيها ولحن الألحان الموسيقية[2].

و كان ابن باجة صاحب مدرسة نبغ فيها العديد من التلاميذ كأبي عامر محمد بن الحمارة الغرناطي الذي "برع في علم الألحان و اشتهر عنه أنه كان يعمد للشعراء فيقطع العود بيده ثم يضع منه عودا للغناء و ينظم الشعر و يلحنه و يفي به"[3].

ومن معاصري ابن باجة الذين أولوا الموسيقى أهمية بالغة نذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاشبيلي (460-529هـ/1068-1134م) المؤرخ الشهير الشاعر الموهوب عرف ببراعته في الفلسفة والرياضيات والطب والموسيقى وله كتاب في الأدوية المفردة وقد تُرجم إلى اللاتينية والعبرية[4]، والعبرية[4]، ويقول عنه المقري:" أمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته، وكان يكنى بالأديب الحكيم، وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية.."[5].

ولأبي الصلت يرجع الفضل في إدخال الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية ذلك أنه هاجر إلى إشبيلية سنة 489هـ/1096م أي بعد سقوط طليطلة فتوجه أولا إلى الإسكندرية ثم استقر بالمهدية حيث لقي في البلاط الزيري أحسن قبول[6]، وغزت على يديه أمواج الألحان الأندلسية إفريقية قبل أن تغزوها أمواج اللاجئين[7]، وهذا الدور الذي أداه أبو الصلت في تطوير الفن الموسيقي بإفريقية شبيه بالدور الذي أداه زرياب في الأندلس.

والجدير بالملاحظة أن الموسيقى في بلاد المغرب لم تلق نفس الاهتمام الذي لقيته بالأندلس وذلك راجع لتشدد المرابطين والموحدين من بعدهم في حرمة هذا الأمر، وتزمت رجال الدين الذين كانوا

[1] نفسه، ص- ص 126-127.

[2] محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 159.

[3] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 140.

[4] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص- ص 71-72.

[5] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص- ص 105-106.

[6] محمد رزوق، المرجع السابق، ص 43.

[7] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 72.

مناهضين لكل آلة من الآلات الموسيقية أمثال المهدي بن تومرت الذي حطم العديد من الآلات الموسيقية أثناء دعوته الإصلاحية[1]، كما أن علماء المذهب المالكي سمحوا باستعمال آلة الدف في الأعراس لا غير شرط أن يكون خاليا من الأوتار المشدودة تحت الجلد[2].

غير أن هذا لا ينفي وجود بعض الآلات الموسيقية كالأبواق في المساجد خلال شهر رمضان، كما استعمل الطبل أيضا كأداة تنبيه لأغراض عسكرية[3].

ورغم تلك الاحترازات الدينية إلا أن الميل إلى الموسيقى في المغرب الأدنى كان منتشرا بما فيه الكفاية خاصة في المدن التي استقر فيها الأندلسيون اللاجئون إلى بجاية والكثير منهم استوطنها واستقر بها نهائيا[4] فكان من نتائج هذا الاستقرار شيوع الفن الموسيقي الأندلسي بهذه المدينة حتى أصبحت مدينة شبيهة بإشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها إلى الطرب[5].

وهو الأمر الذي يوضحه ليون الإفريقي الذي زار إفريقية في الربع الأول من القرن السادس عشر ميلادي ففي وصفه لأهل بجاية يقول:" والبجائيون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص لاسيما منهم الأمراء الذين لم يشهروا الحرب قط على أحد[6]، ويقول أيضا في وصف لأهل تدلس:" وهؤلاء السكان ذو بشاشة ومرح يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود والقيتار"[7]، وهذه الصفات التي أشار إليها ليون الإفريقي تناسب تماما أهل الأندلس ومن تأثر بعاداتهم وأذواقهم من أهل المغرب.

وفي مدينة تونس كذلك اهتم السلاطين الحفصيون بالموسيقى ومن مظاهر ذلك الاهتمام إلغاء السلطان أبي فارس (796-837هـ/1393-1433م) ضريبة كانت مفروضة على الموسيقيين

---

[1] روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 432.

[2] نفسه، ص 432.

[3] نفسه، ص 433.

[4] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 73، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 161.

[5] محمد رزوق، المرجع السابق، ص 44.

[6] الحسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، ج3، تحقيق محمد حاجي، محمد الأخضر، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 51.

[7] نفسه، ص 42.

والمغنيات والمحترفات[1]. كما كان كثير من سلاطين بني حفص يستمعون داخل قصورهم إلى بعض الجواري المغنيات والموسيقيين البارعين[2].

ومن أعمق مظاهر التأثير الأندلسي في مجال الفن و الموسيقى هو ارتكاز الفن التلحيني في المغرب على النوبات[3] التي نقلها معهم المهاجرون الأندلسيون، وبما أن الموسيقى لم تكن مكتوبة فقد ضاع عدد النوبات فحاول بعض الموسيقيين جمعها حفاظا عليها من الضياع فأحصوا حوالي ثلاثة عشر نوبة في تونس[4].

هذا عن الفنون الموسيقية أما فيما يخص الفنون المعمارية والهندسية فقد تأثرت هي الأخرى بالعناصر الأندلسية والمغربية وحتى المشرقية وإنه ليصعب في كثير من الأحيان التمييز بين التأثيرات الأندلسية والمغربية نظرا لما تتسم به من سمات مشتركة.

ومن ملامح ومظاهر التأثير الأندلسي في العمارة الحفصية زاوية سيدي قاسم الزليجي بمدينة تونس المقامة في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) والتي اقتبست مظهرها الأندلسي الرائع من خزفها وقبتها المبنية بالقرميد وهي ذات أصل أندلسي مغربي.

أما عن التأثيرات المشرقية في الفن المعماري فقد تمت بفضل العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مصر وتونس وبفضل عبور الحجيج فوق أراضيها، ومن أهم ملامح هذا التأثير الجمع بين المدرسة وبين ضريح مؤسسها، وكذلك انتشار الحنفيات العمومية في العاصمة الحفصية[5].

ورغم ما تمت الإشارة إليه في تأثير أندلسي في مجال العمران بالمغرب الأدنى إلا أنه يبقى أبلغ وأوضح في كل من المغرب الأوسط والأقصى، وهو ما تشهد عليه الآثار الباقية حتى الآن كمساجد تلمسان التي كانت آنذاك عاصمة للدولة الزيانية.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي، تاريخ الدوليتن الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس، ص 117.

[2] أشار الزركشي إلى أن الوزير ابن جبير كان مشتغلا بالملاهي، ينظر: الزركشي، المصدر نفسه، ص 42.

[3] النوبة هي نوع من التأليف الموسيقي يتناوب فيه التأليف الغنائي و التأليف الآلي، ويرتكز على قواعد محدودة و تراكيب موسيقية تتبع بعضها على نظام واحد، والنوبة ابتكار أندلسي من آثار زرياب الأندلسي ورثته بلاد المغرب عن الأندلس، ينظر: محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 246.

[4] محمد عمرو الطمار، المرجع نفسه، ص 246.

[5] روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 435-436.